

الفصل الثاني

أركان البيعة

وقد بينا في الفصل الأول مفهوم البيعة في النظام السياسي الاسلامي وهي تتكون من ثلاثة أركان . وسوف نتناول بالبحث عن كل ركن منها في مبحث مستقل كما يلي :

- ١ - موضوع البيعة وهو اقامة نظام الخلافة الاسلامية .
- ٢ - الطرف الأول لعقد البيعة وهو المرشح لمنصب الامامة .
- ٣ - الطرف الثاني لعقد البيعة وهم أهل الحل والعقد وجماهير الأمة .

المبحث الأول

نظام الخلافة الاسلامية

الركن الأول للبيعة في النظام السياسي الاسلامي هو اقامة نظام الخلافة الاسلامية على منهاج النبوة . قال الله تعالى : « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » (١) .

وقال تعالى : « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » (٢) .

وقال تعالى : « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد » (٣) .

وقال تعالى : « هو الذي جعلكم خلائف في الارض » (٤) .

وقال تعالى : « يا داوود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين

الناس بالحق » (٥) .

(٢) الاعراف : ٦٩

(٤) فاطر : ٣٩

(١) البقرة : ٣٠

(٣) الاعراف : ٧٤

(٥) سورة ص : ٢٦

وقال تعالى : « ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لنتنظر كيف تعملون » (٦) .

وقال تعالى : « وهو الذي جعلكم خلائف الأرض » (٧) .

فالخلافة في الأرض بدأت بأبي البشر نبي الله آدم عليه السلام ثم ذريته من بعده من الأنبياء والمرسلين واتباعهم بأحسان الى يوم الدين كلما أفل نجم خلفه كوكب ينير لهذه البشرية طريقها عندما تغشاها ظلمات الغفلة ويعيدها الى خط سيرها الصحيح عندما تتعثر خطاها .

قال تعالى : « وان من امة الا خلا فيها نذير » (٨) .

وجاء الرسول الأمين محمد بن عبد الله ﷺ خاتما لهذه السلسلة من الأنبياء والمرسلين فاقام على هذه الأرض ما شاء الله أن يقيم مبلغا دعوته خير تبليغ ومؤسسا دولته افضل تأسيس حتى اكمل الله تعالى دينه ودخل الناس في دين الله أفواجا . وآمن به المسلمون نبيا ورسولا وبإيعوه اماما وقائدا (٩) ومكن الله للمسلمين في الأرض فاقاموا شعائر الاسلام وشرائعه . قال تعالى : « الذين ان مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » (١٠) وأنجز الله وعده للمؤمنين والمسلمين فقامت الدولة الاسلامية الأولى تحت قيادة الرسول ﷺ وعاش المسلمون في الأرض آمنين مطمئنين يعبدون الله وحده لا شريك له . قال الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ،

(٧) الأنعام : ١٦٥

(٦) يونس : ١٤

(٨) فاطر : ٢٤

(٩) انظر الطريق الى جماعة المسلمين للأستاذ حسين بن محسن

دار الدعوة الكويت الطبعة الثانية ١٩٨٦ م (١٤٠٦ هـ) ص ١٠٢ - ١٠٣

(١٠) الحج : ٤١

معبودونى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون « (١١) •

● أنواع الاستخلاف :

وذكر الأستاذ عبد القادر عودة فى كتابه « الاسلام واوضاعنا السياسية » (١٢) أن استخلاف البشر فى الأرض نوعان : استخلاف عام واستخلاف خاص •

١ - فالاستخلاف العام هو استخلاف البشر فى الأرض باعتبارهم مستعمرين فيها ومسلطين عليها « هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها » (١٣) وقد بدأ هذا الاستخلاف بآدم عليه السلام ومن بعده كل ذريته فهم جميعا مستعمرون فى الأرض ، استعمرهم الله جل شأنه فيها وسخرها لهم وسلطهم عليها باذنه « واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » (١٤) • ويقول محمد باقر الصدر (١٥) : « ولما كانت الجماعة البشرية هى التى منحت - ممثلة فى آدم - هذه الخلافة فهى اذن المكلفة برعاية الكون وتدبير أمر الانسان والسير بالبشرية فى الطريق المرسوم للخلافة الربانية • وهذا يعطى مفهوم الاسلام الأساسى عن الخلافة وهو أن الله سبحانه وتعالى أناب الجماعة البشرية فى الحكم وقيادة الكون واعماره اجتماعيا وطبيعيا وعلى هذا الأساس تقوم نظرية حكم الناس لأنفسهم وشرعية ممارسة الجماعة البشرية حكم نفسها بوصفها خليفة عن الله » •

وكان للاستخلاف الربانى للجماعة البشرية فى الأرض عدة معانى اساسية :

(١١) النور : ٥٥

(١٢) انظر الاسلام واوضاعنا السياسية للأستاذ عبد القادر عودة

الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ (١٩٦٧ م) مطبعة غير مسجلة ص ١٦ - ١٨

(١٣) هود : ٦١ (١٤) البقرة : ٣٠

(١٥) انظر خلافة الانسان وشهادة الأنبياء للسيد محمد باقر الصدر

ص ١٥ - ١٦

(١) ولاء الجماعة البشرية الى محور واحد وهو الله الذى استخلفها على الأرض بدلا عن كل الانتماءات الأخرى والايمان بالله واحد ومالك واحد للكون وكل ما فيه وهذا هو شهادة الحق التى قام على أساسها الاسلام وحملت لواءها كل دعوات الأنبياء والمرسلين وهى كلمة لا اله الا الله .

(ب) الغاية من الحياة البشرية هى العبودية المخلصة لله سبحانه وتعالى وتحرير الانسان من عبودية الطواغيت . قال الله تعالى : « ولقد بعثنا فى كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (١٦) وبهذه يتحقق للانسان الحرية والكرامة والعزة .

(ج) طبيعة الخلافة الربانية للجماعة البشرية هى مرتبطة بتحمل الانسان الأمانة والمسئولية وقد وصف القرآن عظمة هذه الأمانة التى ينوء الكون كله بحملها ، قال الله تعالى : « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا » (١٧) فالجماعة البشرية التى تتحمل مسئولية الخلافة على الأرض انما تمارس هذا الدور بوصفها خليفة عن الله ولهذا فهى غير مخولة أن تحكم بهواها أو باجتهادها المنفصل عن توجيه الله سبحانه وتعالى لأن هذا يتنافى مع طبيعة الاستخلاف وانما تحكم بالحق وتؤدى الى الله تعالى أمانته بتطبيق أحكامه على عباده وبلادهم (١٨) .

٢ - والاستخلاف الخاص هو الاستخلاف فى الحكم وهو نوعان :
استخلاف الدول واستخلاف الأفراد . والاستخلاف فى الحكم هو بنوعيه منة أخرى يمن الله بها على من يشاء من عباده امما وأفرادا بعد أن من عليهم جميعا بنعمة الاستخلاف فى الأرض « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » (١٩) . « وجعلنا

(١٦) النحل : ٣٦ (١٧) الأحزاب : ٧٢

(١٨) خلافة الانسان وشهادة الأنبياء للسيد محمد باقر الصدر

(١٩) القصص : ٥

دَنهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون « (٢٠) .

واستخلاف الدول والامم معناه الأول تحرير الأمة واستقلالها بحكم نفسها وجعلها دولة لها من السلطان ما يحمي مصالح الأمة ويعلى كلمتها ، ومعناه الثانى اتساع سلطان الدولة حتى يشمل فوق ابناء الأمة أمما وشعوبا أخرى (٢١) .

واستخلاف الأفراد هو الاستخلاف فى الرئاسة وقد يسمى المستخلف خليفة كما سُمى داوود عليه السلام « يا داوود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق » (٢٢) ، وقد يسمى المستخلف اماما كما سُمى ابراهيم عليه السلام وبعض رؤساء بنى اسرائيل « واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما » (٢٣) ، وقال تعالى : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا » (٢٤) ، وقد يسمى المستخلف ملكا : « واذا قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا » (٢٥) ، وقال تعالى : « وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا » (٢٦) ، وقد يسمى اميرا ، قال رسول الله ﷺ : « من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصا الله ، ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى ومن عصى اميرى فقد عصانى » (٢٧) .

وكان الصحابة رضى الله عنهم يدعون سعد بن ابي وقاص امير المؤمنين لامارته على جيش القادسية وهم معظم المسلمين يومئذ . وكان الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه اول من اطلق عليه امير المؤمنين وذهب لقباً له فى الناس وتوارثه الخلفاء من بعده (٢٨) .

(٢٠) السجدة : ٢٤

(٢١) الاسلام وأوضاعنا السياسية للأستاذ عبد القادر عودة ص ١٧

(٢٢) سورة ص : ٢٦ (٢٣) البقرة : ١٢٤

(٢٤) الانبياء : ٧٣ (٢٥) المائدة : ٢٠

(٢٦) البقرة : ٢٤٧

(٢٧) فتح البارى تأليف ابن حجر العسقلانى ، شركة مكتبة ومطبعة

مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٧ هـ (١٩٥٩ م) ج ١٦ ص ٢٢٨

(٢٨) انظر مقدمة ابن خلدون الفصل الثانى والثلاثون ص ٢٢٧

ولما كان الاسلام له نظام سياسى متميز وله شخصية مستقلة عن جميع النظم وهو نظام الخلافة الاسلامية فقد اوضح العلماء المسلمون عن ماهية الخلافة او الامامة فى النظام السياسى الاسلامى .

١ - فالماوردى يقول (٢٩) : « الامامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا » ويتضح من تعريف الماوردى هذا ان الامامة للخلافة عن النبوة ، وان موضوع هذه الخلافة هو حراسة الدين اولاً ثم سياسة الدنيا ثانياً ، ومما يدخل فى صميم اختصاصات النبوة سياسة الدنيا واصلاحها وفقاً للدين « (٣٠) .

٢ - وعضد الدين الايجى قال عنها : « هى خلافة الرسول فى اقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة » (٣١) وربما كانت كلمة « اقامة » اقوى فى التعبير من « حراسة » لأن الاولى تعنى التنفيذ الفعلى وليس مجرد الحفظ والصيانة (٣٢) .

٣ - قال ابن خلدون (٣٣) : « الخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الآخروية والدينية الراجعة اليها ، اذ احوال الدنيا ترجع عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به » ويبدو ان ابن خلدون ركز فى تعريفه على المعنى الوظيفى للامامة والخلافة ولا يلتفت الى الناحية الشخصية . ثم يستكمل ابن خلدون تعريفه فيقول : « فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء واكابر الدولة كانت سياسة

(٢٩) الأحكام السلطانية للماوردى شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .
(٣٠) انظر الفكر السياسى عند الماوردى للدكتور صلاح الدين

بسيونى ص ٨٦

(٣١) المواقف للايجى ، عالم الكتب بيروت ، مكتبة المتنبى بالقاهرة ، مكتبة سعد الدين ، دمشق بدون تاريخ ص ٣٩٥

(٣٢) الخلافة ونظام الحكم للدكتور صابر محمد دياب حسين دار الأنصار بالقاهرة ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ص ١٣٧

(٣٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٩١

عقلية ، واذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة » . فنوعية القانون هي التي تحدد طبيعة نظام الحكم .

ونرى أن نظام الخلافة الاسلامية هو نظام الحكم الاسلامى الذى يقوم على أساس الدين الذى شرعه الله عز وجل فى كتابه القرآن الكريم ونهجه الرسول ﷺ فى السنة المطهرة بالنصوص القطعية وبالاجتهاد من العلماء المسلمين فى استنباط مبادئه وأحكامه ونظمه وهو نظام شامل يتناول جميع مصالح الحياة الدنيوية التى هى بمثابة مزرعة للحياة الآخروية . فالخلافة الاسلامية يجب أن تكون سياستها وقوانينها وادارتها وقيادتها وعلاقتها السلمية والحربية فى اطار اصول الدين الاسلامى وفروعه .

● أطوار الخلافة الاسلامية :

ولقد أنجز الله عز وجل وعده فى القرآن الكريم (٣٤) باستخلاف الأمة الاسلامية فى الأرض فقامت الدولة الاسلامية الأولى بإمامة الرسول ﷺ منذ قدومه الى المدينة المنورة عقب الهجرة وظل نظام الخلافة الاسلامية على الأساس الذى اقامه الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون المهديون فى شكل أو آخر حتى سنة ١٩٢٤ بسقوط آخر رمز لنظام الخلافة الاسلامية فى عهد الدولة العثمانية ، وذكر الأستاذ سعيد حوى فى كتابه « الاسلام » ملخصاً للأطوار التاريخية التى يمر بها نظام الخلافة الاسلامية فيقول (٣٥) : « والخلافة الاسلامية مرت بأطوار وادوار :

(١) طور الخلافة الراشدة .

(٢) الخلافة الاموية الأولى حتى نهاية يزيد .

(٣٤) انظر سورة النور آية ٥٥ وقد سبق ذكرها قبل قليل .
(٣٥) الاسلام للأستاذ سعيد حوى ، الناشر مكتبة وهبة القاهرة مطابع دار التراث العربى ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) ج ٢ ص ١٣٢ .

(٣) خلافة ابن الزبير .

(٤) الخلافة الأموية الثانية حتى نهاية مروان بن محمد .

(٥) الخلافة العباسية حتى سقوط بغداد .

(٦) الخلافة العباسية في القاهرة حتى استيلاء السلطان سليم عليها

ثم ما أعقب ذلك من تنازل الخليفة العباسي للسلطان سليم عن الخلافة .

(٧) الخلافة العثمانية التي انتهت سنة ١٩٢٤ .

وقد أخبر النبي ﷺ أن الأمة الإسلامية تمر بأطوار من الحكم .
فعن النعمان بن بشير قال : « كنا قعودا في مسجد رسول الله ﷺ
وكان بشير رجلا يكف حديثه فجاء أبو ثعلبة فقال : يا بشير بن سعد
اتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء ؟ فقال حذيفة : أنا أحفظ
خطبته ، فجلس أبو ثعلبة الخشني فقال حذيفة : قال رسول الله ﷺ :

(أ) « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء

أن يرفعها .

(ب) ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن

تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .

(ج) ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها

إذا شاء أن يرفعها .

(د) ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها

إذا شاء أن يرفعها .

(هـ) ثم تكون خلافة على منهاج النبوة « (٣٦) .

(٣٦) مسند الامام احمد بن حنبل ، المكتب الاسلامي للطباعة

والنشر ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت بدون تاريخ ج ٤ ص ٢٧٣ .

ويقول الأستاذ سعيد حوى معلقا على هذا الحديث : « فالذى يبدو أن الملك العاض قد انتهى بانتهاء السلطنة العثمانية وبيد الملك الجبرى من ذلك الوقت حتى الآن وهو لا زال مستمرا ومظهره تلك الانقلابات الكثيرة التى بها توصل أصحابها الى الحكم غصبا عن ارادة الشعب وبدون رأى أمة . ديكتاتوريات بداها « كمال » فى تركيا وتتابعت فى كل مكان » (٣٧) . وكذلك يلاحظ الأستاذ حسين بن محسن فى « الطريق الى جماعة المسلمين » أن الطور الذى تعاشه الأمة الاسلامية هذه الأيام هو طور الملك العاض حسب الترتيب النبوى (٣٨) . فالبيعة حسب النظام السياسى الاسلامى لم تكن معمولة بصورتها الكاملة حاليا ولذلك حاولت الجماعة الاسلامية او الحركة الاسلامية للانتقال الى الطور الجديد وأخذت البيعة من المسلمين للعمل والجهاد لاقامة الخلافة على منهاج النبوة .

* * *

● أهداف الخلافة الاسلامية :

فقد حدد القرآن الكريم والسنة المظهرة اهم الأهداف العامة الشاملة ، والغاية السامية للخلافة الاسلامية هى العبودية البشرية لله وحده ، قال تعالى : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٣٩) ، وقال تعالى : « انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ، وان من أمة الا خلا فيها نذير » (٤٠) ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، والخلافة الاسلامية هى الوارثة للنبوة فى مواصلة السير بهذه الغاية العظيمة وهى دعوة الناس لعبادة الله وحده

(٣٧) جند الله ثقافة واخلاقا للأستاذ سعيد حوى ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية بدون تاريخ ص ٤٠٧ .

(٣٨) انظر الطريق الى جماعة المسلمين للأستاذ حسين بن محسن

ص ١٠٤

(٤٠) فاطر : ٢٤

(٣٩) النحل : ٣٦

على المنهج الذى رسمه رسول الله ﷺ . والله سبحانه وتعالى اراد من الناس جميعا فى كل زمان ومكان ان يعبدوه وحده . قال تعالى :
« يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٤١) .

وهناك عدد من الأهداف الهامة التى نود التركيز عليها لأهميتها بالنسبة للخلافة الاسلامية على منهاج النبوة فى الطور الذى سوف يأتى فى الأمة الاسلامية كما اخبر بها النبى ﷺ ومن هذه الأهداف ما يلى (٤٢) :

١ - تبليغ دين الاسلام الى الناس كافة . واقامة الحجة على جميع الأمم بدعوتها الى دين الحق . وبذلك تكون الأمة الاسلامية أمة وسطا وتكون الخلافة الاسلامية شهيدة على الناس . قال الله تعالى :
« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٤٣) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليبليغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز الله به الاسلام وذل يذل به الكفر » (٤٤) .

٢ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قال الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٤٥) وفسر الطبرى قوله تعالى « تأمرون بالمعروف » أنه يعنى تأمرون بالايمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه « وتنهون عن المنكر » يعنى

(٤١) البقرة : ٢١

(٤٢) انظر الطريق الى جماعة المسلمين للأستاذ حسين بن محسن

(٤٣) البقرة : ١٤٣

ص ١٣١ - ١٣٨

(٤٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألبانى

منشورات المكتب الاسلامى ١٣٧٨ هـ ، المجلد الأول ج ١ ص ٧ .

(٤٥) آل عمران : ١١٠

- وتنهون عن الشرك بالله وتكذيب رسوله وعن العمل بما نهى عنه (٤٦) .
- وذكر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن « ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجبا في الأمم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة . قال الحسن : قال النبي ﷺ : « ومن أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه » (٤٧) .
- ٣ - ازالة الفتنة من الأرض كافة واطهار دين الحق على سائر الأديان الباطلة وتحكيم شريعة الله في المجتمع ، قال الله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (٤٨) ، وقال تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » (٤٩) فالخلافة الاسلامية يجب ان تجاهد دائما لازالة جميع القوى والأنظمة والدول التى تحارب الاسلام (٥٠) .

(٤٦) جامع البيان فى تفسير القرآن تأليف الامام أبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر ، سنة ١٣٢٥ هـ ، ج ٤ ص ٣٠

(٤٧) الجامع لأحكام القرآن تأبى عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ (١٩٧٦ م) الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية ج ٤ ص ٤٧

(٤٨) الأنفال : ٣٩ (٤٩) التوبة : ٣٣

(٥٠) أهم الدول التى تجب على الخلافة الاسلامية العالمية ازلتها فى المستقبل هى :

(ا) الشيوعية واللاحادية والنوثنية . قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » (التوبة : ١٢٣)

(ب) ازالة الدول الراسمالية والعلمانية والديمقراطية الليبرالية ودولة الفاتيكان المسيحية فى روما الايطالية وذلك تحقيقا لما بشر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ، عن أبى قبيل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل : أى المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق ، قال : فأخرج

غير أن نظام الخلافة الاسلامية مفقود فى حياتنا المعاصرة ، والذي يمكن ان نقول بوجوده هو نظام الحكم الوطنى أو النظام القومى الاقليمى الذى لا يلتزم بالاسلام كنظام ربانى وشامل ومتكامل وعالمى . ويقول الأستاذ محمد أسد فى مقدمة « منهاج الحكم فى الاسلام » : « فانه فى الحقيقة لا توجد بين الاقطار الاسلامية اليوم دولة واحدة يمكن أن تتصف بصفة دولة اسلامية » (٥١) .

وهناك مجموعة من الأدلة التى تثبت على فقدان نظام الخلافة الاسلامية اليوم ومنها :

١ - حديث رواه النعمان الذى ذكرناه سابقا(٥٢) وقد أخبرنا النبى ﷺ بان امته تمر باطوار من أنظمة الحكم ، وعلى حسب الترتيب النبوى لتلك الاطوار تكون الامة الاسلامية اليوم فى طور الملك الجبرى ،

منه كتابا قال : فقال عبد الله : بينما نحن حزول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اى المدينتين تفتح أولا القسطنطينية او رومية ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مدينة هرقل تفتح أولا » . يعنى قسطنطينية ، رواه احمد وغيره . وقال الالبانى معلقا على الحديث : « وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثمانى كما هو معروف ، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من اخبار النبى صلى الله عليه وسلم بالفتح ، وسيتحقق الفتح الثانى بإذن الله تعالى - ولا بد - ولتعلمن نبأه بعد حين (انظر سلسلة الاحاديث الصحيحة للألبانى المجلد الأول ج ١ ص ٧ ، ٨) .

(ج) ازالة دولة اسرائيل وتحرير المسجد الأقصى من سيطرة اليهود عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودى : يامسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » (صحيح البخارى دار مطابع الشعب ج ٤ ص ٥١) .

(٥١) منهاج الحكم فى الاسلام للأستاذ محمد أسد نقله الى العربية منصور محمد ماضى ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٧ ، ص ١١

(٥٢) انظر أطوار الخلافة الاسلامية من هذا البحث .

وهذا ما يراه بعض العلماء المعاصرين ونؤيد هذا الرأي (٥٣) وقد بدأ هذا الطور منذ عام ١٩٢٤ ويعد إعلان كمال اتاتورك بالغاء نظام الخلافة الاسلامية العثمانية واقامة نظام الحكم العلماني فى تركيا . وكذلك قيام الدويلات القومية والوطنية فى العالم الاسلامى اليوم (٥٤) .

٢ - تعدد الحكومات التى تحكم الأمة الاسلامية اليوم ، فالاسلام لا يعترف بغير حكومة واحدة على راس الأمة الاسلامية ، بل يطالب الامة الاسلامية بان تقتل انحاكم الثانى مباشرة (٥٥) ويقول رسول الله ﷺ : « اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » (٥٦) بل لم يكن تعدد الحكومات فحسب وانما تعدد أنظمة الحكم فيها مثل النظام الديمقراطى الليبرالى والنظام الاشتراكى والنظام القومى وغيرها من النظم الجاهلية والعلمانية .

٣ - حديث صحيح يبين امكان حدوث غياب نظام الحكم الاسلامى وفقدان الخلافة الاسلامية . فقد اخرج احمد عن ابي امامة الباهلى عن رسول الله ﷺ قال : « لتنقضن عرى الاسلام عروة عروة وكلمما انتقضت عروة تثبت الناس بالتي تليها واولهن نقضا الحكم ، وآخرهن الصلاة » (٥٧)

(٥٣) انظر الطريق الى جماعة المسلمين للأستاذ حسين بن محسن ص ١٠٤ وكذلك جند الله ثقافة وأخلاقا للأستاذ سعيد حوى ص ٤٠٧

(٥٤) انظر الباب الثانى من هذا البحث .

(٥٥) انظر البيان المفصل فى هذا البحث اثناء كلامنا عن شروط صحة عقد البيعة ، وانظر الطريق الى جماعة المسلمين للأستاذ حسين بن محسن ص ٣٤ .

(٥٦) صحيح مسلم دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) ج ٣ ص ١٤٨٠

(٥٧) مسند الامام احمد بن حنبل المكتب الاسلامى للطباعة والنشر دار صادر للطباعة والنشر بيروت المجلد الخامس ص ٢٥١ وقال الذهبى : رجال احمد رجال الصحيح .

فالحديث الشريف صريح في أنه سيأتي يوم على الأمة الاسلامية
تغيب فيه حكومتها وخلافتها(٥٨) .

وما يهمننا في هذا البحث انه بفقدان نظام الخلافة الاسلامية يفقد
ركن اساسى من اركان البيعة فى النظام السياسى الاسلامى فلا تصح
اذن أخذ البيعة العامة فى حالة غياب الخلافة الاسلامية اليوم . وانما
ينبغى أن تكون البيعة اليوم لأجل العمل والجهاد فى سبيل اقامة نظام
الخلافة الاسلامية على منهاج النبوة(٥٩) .

* * *

(٥٨) الطريق الى جماعة المسلمين للأستاذ حسين بن محسن

ص ٣٥

(٥٩) انظر الفصل الاخير من الباب الثانى .

المرشح لمنصب الامامة

بعد ان بينا فى المبحث الأول نظام الخلافة الاسلامية وهو الركن الأول من أركان البيعة الثلاثة نشرع فى الركن الثانى منها وهو المرشح لمنصب الامامة .

ان منصب الامامة فى نظام الخلافة الاسلامية منصب خطير جدا لما يترتب عليه من نتائج هامة بالنسبة للأمة الاسلامية كلها . وهذا المنصب الخطير لا يتولاه أحد عادى من عامة الناس (١) ، بل لا بد لمن يتولاه أن تجتمع فيه شروط وصفات خاصة تؤهله لذلك المنصب ، وقد أشار العلماء الى هذه الشروط ، بعضهم بايجاز واخرون بإسهاب ، فمنهم من جعلها أربعة ومنهم من جعلها سبعة ومنهم من جعلها عشرة (٢) وعلى كل التقسيمات فإنهم على اتفاق فى الاساسية منها (٣) .

● الشروط الواجبة فى الامام :

ان أهم الشروط التى يجب توافرها فى الشخص المرشح لتولى منصب الامام فى نظام الخلافة الاسلامية وحتى تكتمل بها أركان البيعة حسب النظام السياسى الاسلامى أن تتوفر فيه الشروط الآتية :

١ - الاسلام : يجب أن يكون المايح له بالامامة مسلما لأن وظيفته نفسها تقتضى هذا ، فمهمته اقامة الدين الاسلامى وتوجيه سياسة الدولة

(١) انظر النظام السياسى فى الاسلام للدكتور محمد عبد القادر ابو فارس ، ص ١٧٨ - ١٧٩

(٢) وممن جعلها أربعة : البغدادى فى « أصول الدين » وابن خلدون فى « المقدمة » وجعلها الماوردى فى « الأحكام السلطانية » سبعة والغزالى فى « احياء علوم الدين » جعلها عشرة .

(٣) انظر الطريق الى جماعة المسلمين للأستاذ حسين بن محسن ص ١١٦

فى حدود الاسلام وما يستطيع ان يقوم بذلك على وجهه الصحيح الا مسلم يؤمن بالاسلام ويعرف مبادئه واتجاهاته(٤) . فالقرآن الكريم يوجب على المسلمين ان يطيعوا الامير المسلم ، قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »(٥) ويحرم أن يلى أمر المسلمين غير مسلم وذلك ظاهر من قوله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء »(٦) فإذا حرم الاسلام على المؤمنين أن يوالوا غير مؤمن فقد حرم عليهم أن يجعلوه حاكما عليهم لأن الحكم ولاية(٧) فالمسلم يوالى المسلم ، قال تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض »(٨) والكافر لا يوالى المسلم بل يوالى الكافر مثله . قال تعالى : « والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير »(٩) .

وكان هذا الشرط من البديهيات فى المجتمع المسلم ولذلك نجد ان بعض العلماء السابقين الذين كتبوا فى هذا الموضوع كالمأوردى وابن تيمية لم يذكروه صراحة لأنه أمر متفق عليه(١٠) . وكان الركن الأول للبيعة هو اقامة نظام الخلافة الاسلامية ويدخل فيه تطبيق الشريعة الاسلامية على نفس الامام وعلى الأمة وحفظ مصالح الأمة وحماية البيضة ونشر الاسلام والجهاد فى سبيل الله وغير ذلك من الواجبات ، وهذه الامور كلها لا قدرة للكافر ولا مكنة له من القيام بها لأنه فاقد لها وغير مؤهل لتحقيقها(١١) . ويقول الدكتور محمد ضياء الدين

(٤) الاسلام وأوضاعنا السياسية للشهيد عبد القادر عودة ص ١٠٩

(٥) النساء : ٥٩ (٦) آل عمران : ٢٨

(٧) الاسلام وأوضاعنا السياسية للشهيد عبد القادر عودة ص ١٠٩

(٨) التوبة : ٧١ (٩) الأنفال : ٧٣

(١٠) نظام الاسلام : الحكم والدولة للأستاذ محمد المبارك ، الناشر

دار الفكر الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ص ٦٥

(١١) النظام السياسى فى الاسلام للدكتور عبد القادر أبو فارس

ص ١٨٠ - ١٨١

الرئيس (١٢) : وهذا الشرط ظاهر ، بل بديهى ، إذ ان الغاية الأساسية من منصب الامام هى تنفيذ شريعة الاسلام ، فكيف يمكن تنفيذ هذه الشريعة أو كيف ترعى مصلحة الاسلام واهله ، ان لم يكن متولى هذا المنصب مسلما .

٢ - العلم المؤدى الى الاجتهاد فى النوازل والأحكام (١٣) ، ويقول الأستاذ محمد المبارك (١٤) : ان هذا الشرط يتضمن فى الحقيقة عنصرين : احدهما : معرفة الاسلام نفسه عقيدته اولاً لما بينى عليها فى الدولة من التوجيه والتعليم وفى تشريعه الذى هو المرجع فى العلاقات الحقوقية والأحكام القانونية والتنظيمية . أما العنصر الآخر فهو الثقافة العامة للعصر التى تعينه على تطبيق المبادئ والأحكام وعلى استيعاب المشكلة الزمنية المعاصرة وحلها فى اطار مبادئ الاسلام عقيدة وشريعة . فالقصد بالعلم هنا هو العلوم الشرعية والسياسية والقانونية ، يقول الماوردى (١٥) « ويشترط أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية وعلمه بها يشتمل على أصولها والارتياض بفروعها » وأصول الأحكام كما ذكرها الماوردى : القرآن والسنة والاجماع والقياس . وقد ترجم الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس هذا الشرط بقوله (١٦) : « انه يشترط اذن أن يكون الامام وكذلك وزير التفويض والامير العام عالماً بالعلوم الآتية : علوم التفسير ، الحديث ، تاريخ التشريع ، تاريخ الدولة الاسلامية ، الأصول ، المنطق ، علوم اللغة العربية » وأضاف بقوله : « والاجتهاد لا يكمل الآن الا اذا أضيف الى ما تقدم دراسات سياسية واقتصادية واجتماعية مقارنة بالنسبة لما للأمم المختلفة وبالنسبة لما بين الأزمنة قديمها وحديثها .

(١٢) النظريات السياسية الاسلامية للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ص ٢٩٤ .

(١٣) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٦

(١٤) نظام الحكم والدولة للأستاذ محمد المبارك ص ٦٢

(١٥) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٦٦

(١٦) النظريات السياسية الاسلامية للدكتور محمد ضياء الدين

الرئيس ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠

٣ - العدالة على شروطها الجامعة (١٧) أو الأخلاق الفاضلة والأمانة، يقول الله تعالى: « ان خير من استأجرت القوي الأمين » (١٨) فالعدالة هي رأس الشروط التي جعلها الفقهاء من الشروط العامة في كل الولايات على الاطلاق فهي من باب اولى فى الشخص المرشح لمنصب الامامة والتي من اهم أركانها صدق صاحبها وبعده عن الكذب وكونه أميناً على مصالح الأمة وعفيفاً عن المحارم متوقياً المآثم بعيداً عن الشبهة والريب مأموناً فى الرضا والغضب (١٩) . والعدالة تعنى أيضاً التقوى بل هذه مضافاً إليها أيضاً الورع ، قال الامام الغزالي (٢٠) : « الصفة الثالثة هي الورع . وهذه هي اعز الصفات وأجلها وأولها بالرعاية وأجدرها . وهي وصف ذاتي لا يمكن استعارته ، ولا الوصول الى تحصيله من جهة الغير » ثم قال بعد ذلك : « والورع هو الأساس والأصل وعليه يدور الأمر كله . ولا يغنى فيه ورع الغير . وهو رأس المسال ومصدر جملة الخصال . ولو اختل هذا - والعياذ بالله - لم يبق معتصم فى تحقيق الامامة » ويقول ابن خلدون (٢١) : « وأما العدالة فلأنه منصب ديني ينظر فى سائر المناصب التي هي شرط فيها ، فكان اولى باشتراطها فيه ، ولا خلاف فى انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها » .

٤ - الكفاية النفسية والجسمية : والمراد بالكفاية النفسية « الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدو » (٢٢) ، وقال ابن خلدون (٢٣) : « ان يكون جريئاً فى اقامة الحدود واقتحام الحروب

(١٧) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٦

(١٨) القصص : ٢٦

(١٩) انظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ٦٦ وفصائح الباطنية

للغزالي ص ١٨٧ والطريق الى جماعة المسلمين للأستاذ حسين بن محسن ص ١١٧ .

(٢٠) فصائح الباطنية للغزالي ص ١٨٧

(٢١) مقدمة ابن خلدون الفصل ٢٦ ص ١٩٣

(٢٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٦

(٢٣) مقدمة ابن خلدون الفصل ٢٦ ص ١٩٣

بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها عارفا بالعصبية واحوال الدهاء قويا على معاناة السياسة ليصبح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح « . اما الكفاءة الجسمية فيراد بها « سلامة الحواس والأعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصرم والخرس وما يؤثر فقده في العمل كفقد اليدين والرجلين » (٢٤) أو على حد عبارة الماوردي : « سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصبح معها مباشرة ما يدرك بها . وسلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض » (٢٥) .

٥ - الخبرة السياسية والحربية والادارية ، أو على حد عبارة الماوردي : « الرأي المفضى الى سياسة الرعية » (٢٦) ويعبر العلماء القدماء عن هذا الشرط بصيغ مختلفة (٢٧) فيقول البغدادي (٢٨) : « انه هو الاهتداء الى وجوه السياسة وحسن التدبير بأن يعرف مراتب الناس فيحفظهم عليها ولا يستعين على الأعمال الكبار بالعمال الصغار ، ويكون عارفا بتدبير الحرب » ويشترط الايجي في اهل الامامة أنه ذو رأى ليقوم بأمور الملك ، شجاع ليقوم على الذب عن الحوزة « (٢٩) . ويقول أبو يعنى (٣٠) : « أن يكون قيما بامر الحرب والسياسة واقامة الحدود لا تلحقه رافة في ذلك والذب عن الأمة » ومن العلماء المعاصرين الذين يشترطون هذا الشرط الأستاذ محمد المبارك فيقول (٣١) : « لا يكفي أن يكون الخليفة أو رئيس الدولة عالما كبيرا وتقيا صالحا بل

(٢٤) مقدمة ابن خلدون الفصل ٢٦ ص ١٩٣

(٢٥) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٦

(٢٦) المصدر السابق ص ٦ .

(٢٧) النظريات السياسية الاسلامية للدكتور محمد ضياء الدين

الريس ص ٢٩٠ .

(٢٨) أصول الدين للبغدادي ص ٢٧٧

(٢٩) المواقف للايجي ص ٣٩٩

(٣٠) الأحكام السلطانية لأبي يعلى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ مطبعة

البابى بمصر الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) ص ٢٠

(٣١) نظام الاسلام : الحكم والدولة للأستاذ محمد المبارك ص ٦٣

لا بد مع علمه وحسن خلقه من الخبرة فى سياسة المجتمع وادارة الدولة «
ويضيف مؤكداً : « واذا فقدت لم يصح مطلقاً ان يرشح الفاقد لها للخلافة
أو الرياسة مهما بلغ من العلم والاستقامة والتقوى » .

٦ - الذكورة : فقد اتفق العلماء المسلمون على اشتراط الذكورة
لمن يتولى الامامة فى نظام الخلافة الاسلامية . فلا يجوز للمرأة ان تتولى
الامامة استناداً الى حديث وارد فى معرض تنصيب امرأة على مملكة
فارس فى عهد النبى ﷺ فقال (٣٢) : « لن يفلح قوم ولوا امرهم
امراً » وكذلك استناداً الى الواقع العملى فى عهد الصحابة والى طبيعة
وظيفة الامامة نفسها من المتاعب والعمل المستمر وقيادة الجيوش وتسيير
الأمر وعقد الاجتماعات والمفاوضات . ومن اظهر وظيفة الامام امامة
المسلمين فى الصلاة واقامة الجمعة والقاء الخطبة يبين فيها سياسة
نظام الخلافة الاسلامية ، والمرأة عاجزة عن ذلك شرعاً أى ان الشرع
لا يبيح لها ان تصلى بالرجال فامامتها باطلة ، وصلاتها باطلة وصلاة
من اتتم بها باطلة (٣٣) .

٧ - القرشية أو الغلبة السياسية الفعلية : ويرى جمهور العلماء
ان يكون الامام من قریش وعبر عن رأيهم الماوردى (٣٤) فقال :
« والسابع : النسب وهو ان يكون من قریش لورود النص فيه
وانعقاد الاجماع عليه » ، وايده فى ذلك ابن حزم قال : « ومما يدل
على ذلك اذعان الانصار رضى الله عنهم يوم السقيفة وهم اهل الدار
والمنعة والعدد والسابقة للاسلام رضى الله عنهم ومن المحال ان يتركوا
اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجة بنص رسول الله ﷺ على
ان الحق لغيرهم فى ذلك » (٣٥) .

(٣٢) فتح البارى بشرح البخارى لابن حجر مطبعة البياى الجلبى
بمصر ١٣٨٧ هـ (١٩٥٩ م) ج ١٦ ص ١٦٦
(٣٣) انظر النظام السياسى فى الاسلام للدكتور محمد عبد القادر
ابو فارس ص ١٨٣
(٣٤) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٦
(٣٥) الفصل فى الملل لابن حزم مطبعة محمد على صبيح بمصر
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٧ هـ ، ج ٤ ص ٧٤

واستدل جمهور العلماء فى اشتراط النسب القرشى لمن يتولى
الامامة بأحاديث صحيحة ومتواترة . روى عنه صلى الله عليه وسلم : « الأئمة من
قريش » (٣٦) وأخرج الامام أحمد فى مسنده حديث : « الأئمة من قریش ،
ان لهم عليكم حقا ولكم عليهم حقا مثل ذلك ، ما ان استرحموا فرحموا وان
عاهدوا وفوا وان حكموا عدلوا . فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله
والملائكة والناس أجمعين » (٣٦) وأخرج البخارى والدارمى حديث
« ان هذا الأمر فى قریش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه
ما اقاموا الدين » (٣٧) وأخرج أحمد حديث « استقيموا لقریش
ما استقاموا لكم » (٣٨) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال : « الناس تبع لقریش فى هذا الشأن ، مسلمهم تبع لمسلمهم
وكافرهم تبع لكافرهم » (٣٩) (رواه البخارى) ، وروى معاوية حديث :
« قریش ولاة الناس فى الخير والشر الى يوم القيامة » (٤٠)
(رواه الترمذى) .

ولكن أبى بكر الباقلانى - من كبار الأشاعرة وعلماء أهل السنة
فى القرن الرابع الهجرى - كان من أوائل من ذهبوا الى نفي شرط
القرشية ثم تبعه آخرون ، ويقول ابن خلدون (٤١) : « ومن القائلين بنفى
اشتراط القرشية أبو بكر الباقلانى لما أدرك ما عليه عصبية قریش
من التلاشى والاضمحلال واستبداد ملوك العجم من الخلفاء فأسقط
شرط القرشية » .

-
- (٣٦) مسند الامام أحمد ج ٣ ص ١٢٩
(٣٧) سنن الدارمى للامام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن
الدارمى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ تحقيق السيد عبده هاشم يمانى المدنى شركة
الطباعة الفنية المتحدة بالمدينة المنورة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) ج ٢
ص ١٩ ، وكذلك فى فتح البارى بشرح البخارى ج ١٦ ص ٢٣٣ .
(٣٨) مسند الامام أحمد ج ٥ ص ٢٧٧
(٣٩) فتح البارى بشرح البخارى ج ٧ ص ٣٤١
(٤٠) سنن الترمذى تحقيق ابراهيم عطوة عوض مطبعة البابى
الحلبى الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ ، ج ٤ ص ٥٠٣
(٤١) مقدمة ابن خلدون الفصل ٢٦ ص ١٩٤

واستدل القائلون بعدم اشتراط أن يكون الامام قرشيا الى هذه الأدلة : قول رسول الله ﷺ : « اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة » (٤٢) . وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « لو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا لوليته - أو لما دخلتني فيه الظنة » (٤٣) وقول عمر أيضا « ان أدركنى أجلى وأبو عبيدة حى استخلفته ، فان سألنى الله لم استخلفته على أمة محمد ﷺ ؟ قلت : انى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان لكل نبى أمينا وأمينا أبو عبيدة عامر بن الجراح » فأنكر القوم ذلك وقالوا : ما بال عليا قريش ؟ يعنون بنى فهر ثم قال : « فان أدركنى أجلى وقد توفى أبو عبيدة استخلف معاذ ابن جبل » (٤٤) ووجه الدلالة فى قول عمر رضى الله عنه أنه يرى استخلاف غير القرشى كسالم مولى حذيفة ومعاذ بن جبل الانصارى وهما ليسا قرشيين (٤٥) .

ويرى ابن خلدون أن الحكمة فى اختصاص قريش بهذه الميزة أنها كانت صاحبة عصبية ومركز زعامة يعترف بها كل العرب فكان تخصيص العرب الولاية لقريش أدعى الى انتظام الشمل ، واجتماع القلوب ، وعليه فمتى وجدت العصبية لشخص ارتفع الخلاف حوله وسكنت الملة واهلها اليه فكلما وجدت تلك العلة تحقق هذا الشرط فى واحد من الناس بصرف النظر عن جنسه ونسبه (٤٦) ويقول ابن خلدون : « فلا بد اذن من المصلحة فى اشتراط النسب وهى المقصودة من مشروعيتها واذا سبرنا وقسمنا لم نجد لها الا اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه

(٤٢) فتح البارى ج ١٦ ص ٢٣٩

(٤٣) المسند للامام أحمد ٢١٢/١ رقم ١٢٩

(٤٤) المسند للامام أحمد ٢٠١/١ - ٢٠٢ رقم الحديث ١٠٨

(٤٥) النظام السياسى فى الاسلام للدكتور محمد عبد القادر

أبو فارس ص ١٩٤

(٤٦) انظر مقدمة ابن خلدون الفصل ٢٦ ص ١٩٥ بتصريف .

الملة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها » ويعلل ابن خلدون جعل أمر الامامة فى قرىش بقوة عصبيتها السياسية فيقول (٤٧) : « وذلك أن قرىشا كانت عصبية مضر وأصلهم وأهل الغلب فيهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبيهم فلو جعل الأمر فى سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم » .

وللدكتور محمد ضياء الدين الرئيس تعقيب على رأى ابن خلدون بل ان الدكتور محمد ضياء الدين يقدم تطورا جديدا لنظرية العصبية السياسية فيقول (٤٨) : « أن يكون الشرط الآن هو أن القائم بأمر المسلمين يجب أن يكون متبوعا من الكثرة الغالبة للجماعة ليكون مطاعا مرضيا عنه ذا قوة مستمدة من الإرادة العامة ، ونفوذ فيترتب على وجوده حصول الوحدة وتنفي دواعى الخلاف » ثم يقول (٤٩) : « ان الاتفاق على الفكرة والاتحاد على تنفيذ مبدأ معين سياسى أو إجتماعى أو غير ذلك تدخل الآن على العصبية أو الترابط من أجل المحافظة على كيان القبيلة ومكانتها التى شاد عليها ابن خلدون نظريته » .

ونرى فى هذا الشرط أن يكون الامام فى عصرنا هذا مؤيدا من الجماعة التى لها قوة سياسية واقعية ومكانة قيادية فى المجتمع أو على حد عبارة ابن خلدون (٥٠) : « فاشتراطنا فى القائم بأمر المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبية على من معها لعصرها ، ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية » وأما النصوص من الأحاديث النبوية والوقائع التاريخية التى يستند اليها العلماء المسلمون فى اشتراط القرشية فهى من باب السياسة الشرعية المتغيرة بتغير العوامل

(٤٧) مقدمة ابن خلدون الفصل ٢٦ ص ١٩٥

(٤٨) النظريات السياسية الاسلامية للدكتور محمد ضياء الدين

الرئيس ص ٣٠٢ - ٣٠٣

(٤٩) المصدر السابق ص ٣٠٣

(٥٠) مقدمة ابن خلدون الفصل ٢٦ ص ١٩٦

والظروف وليست من باب المبادئ العامة الثابتة (٥١) مثل قوله تعالى :
«يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» (٥٢)
هذه الآية وغيرها كثير في الأمر بالطاعة لأولى الأمر عموماً بدون
تخصيص ، وحديث : « اسمعوا واطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان
رأسه زبيبة » (٥٣) ومما يؤيد تعميم الأمر على غير قريش تلخيص
الحافظ ابن حجر لأحاديث تخصيص الأمر في قريش وجعلها مقيدة
باستقامة قريش على دين الله فإذا وجد من هو أكثر استقامة وكفاءة من
القرشي فإنه يقدم عليه (٥٤) . والملاحظ أن جمهور المستمسين بشرط
القرشية أجازوا امامة المتغلب ولو لم يكن قرشياً وذلك بحكم الضرورة .
ولكننا نرى أن العلة الحقيقية هي الغلبة والقوة السياسية الفعلية وانتظام
الأمر بحكم الواقع الذي يتفق مع المصلحة الشرعية .

وزاد بعض العلماء شروط أخرى للإمامة مثل : الحرية والبلوغ والعقل
ولا يشير بعضهم إليها باعتبار أنها من الشروط البديهيات : « وأنه لا بد أن
يكون من المفهوم إذا كانت تشترط في الولاية الصغيرة أنها تشترط في
هذا المنصب الخطير ، وهو الامامة من باب أولى » (٥٥) ومن ناحية
أخرى انه : « ليس ثمة ما يمنع من اشتراط شروط أخرى إذا اقتضتها
المصلحة العامة فيجوز مثلاً أن يشترط في الامام أن يكون قد بلغ سناً معينة
ويجوز أن يشترط فيه الحصول على درجات علمية معينة ويجوز أن
يشترط فيه أي شرط آخر إذا دعت لذلك الشرط مصلحة الجماعة أو اقتضته
ظروف الحياة التي تتغير بمرور الأيام » (٥٦) .

(٥١) انظر نظام الاسلام : الحكم والدولة للأستاذ محمد المبارك
ص ٧١ بتصرف . (٥٢) النساء : ٥٩
(٥٣) فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني مطبعة مصطفى
البابى الطبى بمصر ١٣٨٧ هـ (١٩٥٩ م) ج ١٦ ص ٢٣٩ - ٢٤٠
(٥٤) الطريق الى جماهير المسلمين للأستاذ حسين بن محسن
ص ١٢٢
(٥٥) النظريات السياسية الاسلامية للدكتور محمد ضياء الدين
الريس ص ٢٩٤
(٥٦) الاسلام واوضاعنا السياسية للأستاذ عبد القادر عودة ص ١١٧

المبحث الثالث

اهل الحل والعقد وجماهير الامة الاسلامية

الركن الثالث للبيعة فى النظام السياسى الاسلامى هو اهل الحل والعقد وجماهير الامة الاسلامية . وقد ذكرنا أن البيعة تنقسم الى بيعة خاصة يقوم بها اهل الحل والعقد ، واخرى بيعة عامة تقوم بها عامة المسلمين .

وقد اتفق اهل السنة على أن نصب الخليفة فرض كفاية ، وأن المطالب به اهل الحل والعقد فى الامة ، ووافقهم المعتزلة والخوارج على أن الامامة تنعقد ببيعة اهل الحل والعقد . ولكن اضطرب كلام بعض العلماء فى اهل الحل والعقد من هم ؟ وكان ينبغى أن تكون تسميتهم بـ « اهل الحل والعقد » مانعة من الخلاف فيهم . وقد يطلق عليهم اهل الاختيار أو اهل الشورى أو اهل الاجتهاد ، وقد بين العلماء هؤلاء الذين يعنون بأهل الحل والعقد :

١ - فيقول البغدادى (١) : « ان طريق ثبوتها (أى الامامة) الاختيار من الامة : باجتهاد اهل الاجتهاد منهم ، واختيارهم من يصلح لها » .

٢ - ويقول الماوردى (٢) : « وان لم يقم بها (أى الامامة) أحد خرج من الناس فريقان : أحدهما : اهل الاختيار حتى يختاروا اماما للامة ، والثانى : اهل الامامة حتى ينتصب أحدهم للامامة » . ويقول فى مكان آخر (٣) : « فاذا اجتمع اهل العقد والحل للاختيار تصفحوا احوال اهل الامامة الموجودة فيهم شروطها فقدموا للبيعة منهم اكثرهم فضلا واكملهم شروطا ومن يسرع الناس الى طاعته ولا يتوقفون عن بيعته » .

(١) أصول الدين للبغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ طبعة دار الفنون التركية باستانبول ، الطبعة الأولى ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) ص ٢٧٩
(٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٥
(٣) المصدر السابق ص ٧

٣ - ويقول الشيخ محمد رشيد رضا (٤): «أهل الحل والعقد الذين هم خواص الأمة من العلماء ورؤساء الجند والمصالح العامة هم أولوا الأمر الذين تجب طاعتهم فيما يتفقون عليه لأن عامة الناس ودهماءهم يتبعونهم بارتياح واطمئنان ولأنهم هم العارفون بالمصلحة التي تحتاج الى تقرير الحكم فيها ولأن اجتماعهم واتفاقهم ميسور ، ولأجل ذلك كان اجتماعهم بمعنى اجماع الأمة برمتها » .

٤ - ويقول الشيخ محمود فياض : « ان كبار القوم من زعماء وعلماء وأهل خبرة في نواحي الحياة المختلفة هم أولياء الأمر وأهل الحل والعقد وهم لسان الأمة الناطق برغباتها والمعلن لسخطها أو رضاها أو هم وكلاء الأمة الدائمون يتألف منهم شبه مجلس أعلى للأمة يسهر على مصالحها ويوجه سياستها في السلم والحرب ويراقب حكامها ويرشح من يراه أهلاً لقيادة المسلمين ورياستهم » .

ويبدو من النقول السابقة ان أهل الحل والعقد هم أصحاب العلم والرأى وموضع الثقة في فئات الأمة المتعددة « وهم الأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع اليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة اذا اتفقوا على امر أو حكم وجب أن يطاعوا فيه » (٥) ومن اهم اختصاصاتهم اختيار الامام وعقد البيعة له وهم الذين يسمون عند الأمم الأخرى بنواب الأمة .



● شروط أهل الحل والعقد :

وقد حدد العلماء المسلمون شروطاً مؤهلة لأهل الحل والعقد ومنهم

(٤) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ج ٥ ص ١٨١
(٥) مجلة الأزهر المجلد الثاني والعشرون ، مطبعة الأزهر ١٩٥٠م
بحث بعنوان « الفقه السياسي عند المسلمين » للدكتور محمود فياض أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية أصول الدين ص ٨٠٨

المأوردى حيث يقول (٦) : « فاما أهل الاختيار فالشروط المعتمدة
فيهم ثلاثة :

أحدها : العدالة الجامعة لشروطها .

والثانى : العلم الذى يتوصل به الى معرفة من يستحق للامامة على
الشروط المعتمدة فيها .

والثالث : الرأى والحكمة المؤديان الى اختيار من هو للامامة اصلح
ويتدبير المصالح اقوم وأعرف » .

وكذلك يرى القاضى عبد الجبار بن أحمد نفس هذه الشروط التى
ذكرها المأوردى فيقول عبد الجبار (٧) : « لا بد من كون العاقدين من
أهل العلم بمن يصلح للامامة ومن لا يصلح لها وبجملة من الدين ،
فهو لأن من لا يعرف جملة الدين لا يعرف من يصلح للامامة فلا بد أن
يكون عارفاً بذلك ومتى لم يعرف من يصلح للامامة لم يكن له طريق
الى اختيار الامام ، فلا بد من أن يعرف ذلك ، ولا بد من أن يكون من
أهل الرأى لأنه يحتاج فى ذلك الى تقديم واحد على آخر لأحوال
ترجع الى الدين والى الشجاعة وغيرها ، ومتى لم يلزم أهل الرأى
لم يصح ذلك ، ولا بد من أن يكون من أهل السير والصلاح ليوثق باختياره ،
ولأن أمر الامامة اعظم من غيرها من الولايات » .

ونلاحظ أن هذه الشروط التى ذكرها العلماء شروط مرنة غير محددة
وإذا كان بعضهم قد بينوا بأن أهل الحل والعقد هم العلماء والرؤساء
ووجوه الناس ، وإذا أمكن تحديد مغزى كلمة العلماء فى عرفهم بالمجتهدين
فانه لا يمكن تحديد مقياس دقيق للرؤساء والوجهاء . ومثل هذا التحديد

(٦) الأحكام السلطانية للمأوردى ص ٦

(٧) المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ، الجزء المتم العشرين القسم

الأول فى الامامة للقاضى عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ تحقيق الدكتور
عبد الحليم محمود والدكتور سليمان دنيا مراجعة الدكتور ابراهيم مذكور ،

الدار المصرية للتأليف والترجمة بدون تاريخ ص ٢٦٧

من الأمور التي تختلف بتغير ظروف الزمان والمكان (٨) . ولكي تكون جماعة أهل الحل والعقد معلومة للأمة لنترجع إليها الأمة في مهام الأمور التي منها بلا شك اختيار الامام . ويرى الدكتور محمد رافت عثمان « أن تشكل من علماء الشرع ورجال الجامعات والقضاء والهيئة النيابية والنقابات وزعماء الطلاب وتكون أسس اختيار الأعضاء في هذه الهيئات التي ذكرتها واضحة جلية معلنة لجماهير الأمة وأن تعلن أسماء من تم اختيارهم لتمثيل الشعب في جماعة أهل الحل والعقد » (٩) .



● بيعة جماهير الأمة :

وقد قلنا أن الخلافة كانت للجماعة البشرية بوصفها خليفة عن الله وكل الناس خلفاء في الأرض يحملون الأمانة ، ثم كانت الخلافة تخص الأمة المسلمة بقيادة الأنبياء ومن تبعهم من الأئمة المسلمين . والأصل أن الأمة الإسلامية صاحبة الخلافة في الأرض ثم تختار واحدا منها ليكون اماما . فالامامة ليست من الفروض العينية وإنما هي من الفروض الكفائية التي تجب على فريقين من المسلمين وهما أهل الاختيار وأهل الامامة « وليس على من عدا هذين الفريقين من الأمة في تأخير الامامة حرج ولا مأثم » (١٠) فحق اختيار الامام لم يكن متروكا لجميع أفراد الأمة وإنما هو مقصور على فئة معينة يطلق عليهم أهل الحل والعقد . فبيعتهم تمثل اختيارا وتولية للامام . فإذا قاموا باختياره سقط فرض نصب الامام عن الأمة كلها بل وجب على سائر الأمة الدخول في بيعته وطاعته .

(٨) انظر مبادئ نظام الحكم في الاسلام للدكتور عبد الحميد متولى الطبعة الأولى دار المعارف ص ٥٩٩ - ٥٦٠

(٩) رئاسة الدولة في الفقه الاسلامي للدكتور محمد رافت عثمان دار الكتاب الجامعي / سيد محمود وشركاه رقم الايداع ١٩٧٥/٢٩٩١ ، ص ٢٥٨

(١٠) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٦

أما بيعة جماهير الأمة فهي بمثابة اظهار الطاعة للامام الشرعى بعد بيعة أهل الحل والعقد الذين يمثلون الأمة فى اختيار الامام « وانعقدت بيعتهم له الامامة فلزم كافة الأمة الدخول فى بيعته والانقياد لطاعته » (١١) ولم يحدث فى التاريخ الاسلامى أن أهل الحل والعقد بايعوا رجلا للامامة ورفضت الأمة هذه البيعة ، والمبدأ السائد عند علماء هذه الأمة وقادتها : أن أهل الحل والعقد هم الذين يختارون الامام (١٢) وجماهير الأمة يتبعونهم بالتأييد والموافقة .



(١١) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٧
(١٢) انظر النظام السياسى فى الاسلام للدكتور محمد عبد القادر
أبو فارس ص ١٢٥ - ١٢٦